

سورية - دمشق - مسجد عبد الغني النابلسي - خطبة جمعة : هم العدو فاحذرهم

المحاضرات

2028-02-22

دمشق

جامع عبد الغني النابلسي

ملاحظة : النص تفرغ آلي سيتم إضافة النص المنسق قريبا

نور الدين الاسلامي

يا ربنا لك الحمد ملء السماوات والأرض، وملء ما بينهما، وملء ما شئت من شيء بعد أهل النقاء والمجد. أحق ما قال العبد وكلنا لك عبد، لا مانع لما أعطيت، ولا معطي لما منعت، ولا ينفع ذا الجد منك الجد. واشهد ان لا اله الا الله وحده لا شريك له. عنى كل فقير وعز كل دليل، وقوة كل ضعيف، ومفرج كل ملهوف، فكيف تنفقر في غناك؟ وكيف تضل في هداك؟ وكيف نذل في عزك؟ وكيف تضام في سلطانك؟ وكيف نخشى غيرك والامر كله اليك. واشهد ان سيدنا محمدا عبده ورسوله، أرسله رحمة للعالمين بشيرا ونذيرا، ليخرجنا من ظلمات الجهل والوهم إلى أنوار المعرفة والعلم، ومن وحول الشهوات إلى جنات القربان، فجزاه الله عنا خير ما أجرى نبيا عن أمته. اللهم صل وسلم وبارك على سيدنا محمد، وعلى آل سيدنا محمد، وعلى أصحاب سيدنا محمد، وعلى أزواج سيدنا محمد، وعلى ذرية سيدنا محمد وسلم تسليما كثيرا. وبعد. أيها الأخوة الكرام، ففي جسم الإنسان عدة صغيرة وزنها عند الولادة خمسة عشر جراما تقريبا بجوار القلب اسمها الغدة الصعترية أو التيموس. وهذه الغدة لها مهمة خطيرة في جسم الإنسان ومهمتها تدريب الخلايا للتماقية على معرفة العدو ومهاجمته.

تدرب الخلايا على معرفة العدو ومهاجمته. وتكون هذه الغدة الكبيرة في السنوات الأولى من عمر الطفل. ثم تضمر شيئا فشيئا بعد البلوغ. بعد أن تركت في الجسم ذاكرة مناعية يستطيع الجسم من خلالها معرفة عدوه ومهاجمته والقضاء عليه. هذا خلق الله فأروني ماذا خلق الذين من دونه بل الظالمون في ضلال مبين. تكفل الله المرابي جل جلاله بجسمنا أن يعرفه أعداءه حتى لا يدخل إليه جسم غريب ويعاديه وهو لا يدري. تكفل المرابي رب العالمين بأجسامنا أن يعرفنا أعداءها، وكلفنا أن نعرف أعداءنا في الدنيا والآخرة. الذين يكيدون لنا ويريدون بنا شرًا لنتقي شرهم. ونتجو بدنيا. ونستحق جنه ربنا. الحقيقة الأولى. ليس هناك حياة وردية خالية من الأعداء. منذ أن خلق الله الخليقة. خلق حقا وباطلا. والحق والباطل يصطرعان. وهذا مفهوم العداوة. فإذا كنت على الحق. فانت عدو للباطل. ومن كان على باطل فهو عدو للحق. وهذه سنة المدافعة من أول يوم خلق فيه آدم عليه السلام وإلى قيام الساعة. أما الحياة الوردية الخالية من الأعداء سلم وأمان. وليس هناك عداوات. فهي في أذهان الحالمين فقط. ليس لها وجود على أرض الواقع. منذ أن خلق الله آدم عليه السلام بدأت عداوة الشيطان له من اللحظة الأولى.

قال تعالى مخاطبا آدم عليه السلام ان هذا اى الشيطان ان هذا عدو لك ولزوجك فلا تخرجنكما من الجنة فتشقى. حتى ربنا جل جلاله مالك الملك رب العالمين النعم المتفضل الذي يمدنا بما تحتاجه من نعمة الإمداد ونعمة الإيجاد ونعمة الهدى والرشاد. حتى ربنا الذي أعد لنا جنه عرضها السماوات والأرض. حتى ربنا الذي خلقنا ليرحمنا. حتى ربنا الذي خلقنا لنريح عليه. لا ليرج علينا. وأعد لنا جنه عرضها السماوات والأرض. له أعداء. قال تعالى يوم يحشر أعداء الله إلى النار فهم يوزعون. وقال أيضا. من كان عدوا لله ولآياته ولرسوله وجبريل وميكال فإن الله عدو للكافرين. أردت من المقدمة أن أقول ليس هناك أمر إلا له عدو. يروى. والرواية هنا للاستئناس لا للإثبات أن موسى عليه السلام نأجى ربه في الليل فقال يا رب لا تبق لي عدوا. فقال له يا موسى هذه ليست لي. ليس هناك جهة في الأرض لا عدو لها هذه حقيقة. أيها الأخوة الكرام. والعداوة عداوة، وعداوة حال وعداوة عداوة الحال عدو ظاهر بين يريد بك شرًا، يكيد لك، يتأمر عليك. واضح وعداوة المقال لا تطنه عدوا، لكننا الله من أشد الأعداء.

قال تعالى. يا أيها الذين آمنوا ان من أزواجكم وأولادكم عدوا لكم فاحذروهم. ان من أزواجكم وأولادكم عدوا لكم فاحذروهم. قد تكون الزوجة عدوا لزوجها. وقد يكون الزوج عدوا لزوجته. وقد يكون الأولاد أعداء لأبائهم وأمهاتهم. كيف ذلك؟ الزوجة التي تدفع الإنسان في الدنيا. أن يأكل المال الحرام من أجل أن يؤمن لها ما تحتاجه هي عدو لزوجها. عداوة. مال. الزوج الذي يترك زوجته تخرج كما يحلو لها في الطرقات دون لباس شرعى. عدو لزوجته. يا أيها الذين آمنوا قوا أنفسكم وأهليكم نارا وقودها الناس والحجارة. وهو لم يفعل. الأولاد الذين يلحنون آياتهم إلى ان يبعوا دينهم من أجل ان ان يعلموهم في مدارس محددة. يلحنون هم ان يفعلوا ما يحلو لهم. دلالا على الأب. هم أعداء لوالديهم. أيها الأخوة الكرام. هذه عداوة المال. ان من أزواجكم وأولادكم عدوا لكم. أي في المال فاحذروهم. وجب التحذير من هذه العداوة لأنها غير ظاهرة. ومن أعظم أعداء الإنسان الجهل. والجاهل يفعل في نفسه ما لا يستطيع عدوه أن يفعله به. العدو الحقيقي الظاهر لا يتال من الإنسان كما يتال منه جهله. لذلك قال صلى الله عليه وسلم طلب العلم فريضة على كل مسلم لأن الجهل عدو من أعدى أعداء الإنسان.

أيها الكرام عدو الإنسان الأول الشيطان. وكل من بعده تبع له، والشياطين نوعان شياطين الإنس وشياطين الجن. قال تعالى. وكذلك جعلنا لكل نبي عدوا. لكل نبي عدوا. لما ذهب نبينا صلى الله عليه وسلم إلى ورقة بن نوفل. قال له ورقة ليني أكون حيا إذ خرجك قومك. فقال صلى الله عليه وسلم. مستعجبا مستغربا. أومرني خريجهم. ما الذي يدفعهم إلى إخراجي من مكة وأنا الصادق الأمين الذي ما جربوا عليه كذبا أبدا؟ أنا ابن عبد المطلب. أنا المعروف نسيبا. أنا المعروف أمانة وصدقا أومرني هم. فقال ورقة. قال ما أتى نبي بمثل ما أتيت به إلا عودي. لا بد من أن يعاديك الناس. أنت تريد أن تخرجهم من الظلمات إلى النور. وهم يرون أنك تريد أن تقضي على مصالحهم فسيعاد إليك الناس. أيها الإخوة. قال تعالى. وكذلك جعلنا لكل نبي عدوا شياطين الإنس والجن يوحي بعضهم إلى بعض زخرف القول غرورا. قدم شياطين الإنس على شياطين الجن. تقديم أهمية. لأن شيطان الجن لا يملك إلا الوسوسة. ما عنده أسلحة ولا قوات ولا قبائل ولا طائرات ولا مسيرات. عنده وسوسة ويخس. إذا استعدت بالله تعالى من شر الوسواس الخناس.

هذه إمكانياته ما أعطاه الله إمكانيات فوق ذلك. لذلك يقول. لا سلطان لي عليكم إلا أن دعوتكم فاستجبت لي. لم يجعل الله تعالى له سلطانا. لا يملك إلا أن يوسوس. كمثل إنسان اشتكى إلى مخفر الشرطة. بان رجلا من الناس أساء إليه. وأوقعه في حفرة. فكسرت أضلأعه. فلما مثل بين يدي رئيس المخفر سأله رئيس المخفر هل تدعك إلى الحفرة؟ قال لا. قال هل أشهر في وجحك مسدسا حتى تنزل مكرها؟ قال لا. قال فما الذي فعله إذن؟ قال قال لي انزل. فنزلت. مضحك هذا الرجل. هذا حال الشيطان مع الناس. وما كان لي عليكم من سلطان الا ان دعوتكم فاستجبت لي فلا تلوموني ولوموا أنفسكم. فشياطين الجن ليس له سلطان يوسوس ويستجيب له المعقلون. هذا الشياطين الإنس أعظم خطرا. ففي أيديهم وسائل الحرب في التبرج. يظهر بمظهر الناصح منذ عهد ابنا آدم عليه السلام. ويوافقون. ويكونون ذا وجهين. لذلك قدم الله شياطين الإنس على شياطين الجن. وكذلك جعلنا لكل نبي عدوا شياطين الإنس والجن. أيها الأخوة الكرام. ومن أعجب العجب أن عداوة الشيطان ظاهرة جليلة، ومع ذلك يتبعه خلق كثير، قال تعالى.

إن الشيطان لكم. إن الشيطان للإنسان عدو مبين. مبين ظاهر لا تخفى عداوته، يريد أن يصل بالإنسان إلى النار، حتى في الدنيا لا تخفى عداوته لأنه يأمر بالسوء والفحشاء، وأي عدو أعظم من أن يؤمر الإنسان بسوء أو بالفحشاء بمنكر في الأقوال والأفعال. فالشياطين عدو مبين ومع ذلك يتبعه خلق كثير. قال تعالى ألم أعهد إليكم ما بنى آدم ألا تعبدوا الشيطان إنه لكم عدو مبين. وان عبدوني هذا صراط مستقيم. إن الشيطان لكم عدو فاتخذوه عدوا. أمر إلهي. لكن تخفى عداوته لأن له أساليب يتخفى من خلالها ويخفي مكره. فما أساليب الشيطان؟ الأول يظهر بمظهر الناصح. لا يأتيك الشيطان ويقول لك أنا سادك. وأما يأتيك ويقول أنا سادك لك أنا اصح لك. أنا اريد بك خيرا. أنا اريد لك المتعة. أنا اريد لك أيتها الفتاة الحرة في التبرج. يظهر بمظهر الناصح منذ عهد ابنا آدم عليه السلام. وقاسمهما إني لكما لمن الناصحين. أقسم قسما بالله أنا اصح لكما ان اطيع شجرة هي تلك الشجرة التي منعت ما عنها. وذاك الحلال الكثير. لا شأن لكم به. يظهر بمظهر الناصح. ثانيا يزين عمل السوء لما يريد من الانسان ان يعمل سوءا يزينه له.

كان تأتي مقامها لها رائحة كريهة. ثم توضع في عليه محكمة. ثم تلف بورق الهدايا ويوضع عليها شريط احمر فترزين. لكنها قمامة يزين الشيطان للإنسان عمله. قال تعالى وإذ زين لهم الشيطان أعمالهم. يزينه لا يقول له هذه سرقة، يقول له هذا حقا، حقا في المال. هم لا يدفون زكاتهم الدولة لا تعطيك حقا. خذ الرشوة. يزين له. هذا ليس ديننا. هذا تراصي. هذه ليست قاضية. واليوم هناك من شياطين الإنس من يخرجون على الشاشات يزينون المعاصي للناس. ثالثا. يخطو بالإنسان خطوة خطوة حتى يقع في المحذور الكبير. فهو لا يأمر الإنسان فوراً بالزنا. ولكنه يبدأ من إطلاق البصر. فإذا أطلق بصره واستمرها دفعه إلى المصاحفة. ثم إلى الخلوة. ثم إلى الصداقة. ثم إلى الانسجام ثم الموعد ثم اللقاء ثم الزنى يتدرج به. لذلك قال تعالى يا أيها الذين آمنوا لا تتبعوا خطوات الشيطان ولا تتبعوا خطوات الشيطان. لا تمنشي وراءه لانه يوسولك الكبيرة. الرابعة والآخرية يتبرأ من الانسان بعد ان يقع في المعصية والمحذور. قال تعالى. وقال الشيطان لما قضي الأمر ان الله وعدكم وعد الحق ووعدتكم فأخلفتكم. بهذه البساطة وما كان لي عليكم من سلطان إلا أن دعوتكم فاستجبت لي فلا تلوموني ولوموا أنفسكم.

ما أنا بمصرحكم وما أتم بمصرخي. يتبرأ من أتباعه في حركة مهينة جدا لمتنوع. وخبيثة وماكرة. يتبرأ بعد ان يوقعهم في المعصية والإثم والعياذ بالله. أيها الكرام. كما قلت لكم الشياطين نوعان. شياطين الإنس وشياطين جن وشياطين الإنس. ينهجون نهج إبليس. أعداؤنا اليوم أعداء الأمة الذين يريدون بدنيا وبلادنا وينا شرًا. يفعلون ما يفعله إبليس اللعين. لأنهم أتباعه. ويقتفون أثره. ويتبعون أساليبه وخيله. يتحدون عن حقوق الإنسان. وقد داسوا بحوافرهم حقوق الإنسان. يزينون اتفاقيات العار. ويسمونها اتفاقيات ابراهيم. وإبراهيم عليه السلام براء منهم. ومنها. تزني. يزينون. يظهرن بمظهر الناصح الذي يريد سلاما وأمانا. ورخاء. واستقرارا. ويضمرون. خبثا. ومكرا. وكيدا. ثم يتبرأون ممن تبعهم بعد ذلك ووثق بهم وأحسن الظن بهم بعد أن يحصلوا على مرادهم منه. يجب ان نحذر أعداءنا شياطين الإنس كما نحذر شياطين الجن. النظام الشيطاني البائد نموذج لشياطين كثر. وقد مرت بنا امس ذكرى مؤلمة. وما أكثر الذكريات المؤلمة المؤلمة في عهده. مجزرة الغوطة بالكيمائي، وكانت أشد ألما فيما سمعت من وقتها على أهل دمشق، لأن من قضاوا لا يبعدون عنهم إلا مئات الأمتار، وهم غير قادرين على الوصول إليهم، بل غير قادرين على الترحم عليهم علنا، بل غير قادرين على إنكار الجريمة أصلا لشدة السطوة والبطش الذي كان.

أيها الأخوة الكرام. هذا النظام الشيطاني غر كثيرين، وهو يدعى أنه يحارب الإرهاب كما تفعل الأنظمة العالمية، هو ليس بدعا، وكان ينفذ سياسته. هو كان ينفذ سياستهم في المنطقة فكان يعر الكثيرين بأنه يحارب الإرهاب ويزين جرائمهم كيف زينها بالممانعة والصمود والتصدي والوقوف في وجه الإمبريالية والرجعية زين جرائمه. أنا أدافع عنكم كما يفعل الشيطان. وخطابي أتباعه والمنافقين له خطوة خطوة. خطوة خطوة. حتى أوقعهم في شر أعمالهم. ثم هرب وحده وتركهم متبرئا منهم ومن نفاقهم تركهم يتجرعون الأسى والقلق والخوف وحيدين لا ناصر لهم ولا معين. فشياطين الإنس أيها الكرام يشاهون شياطين الجن في أدواتهم وأساليبهم وجيهم. صدق الله تعالى إذ يقول. وإذا رأيتهم تعجبك أجسامهم، وإن يقولوا تسمع لقولهم كأنهم خشب مسندة. يحسبون كل صيحة عليهم هم العدو فاحذروهم قاتلهم الله أنى يؤفكون. حاسبوا أنفسكم قبل أن تحاسبوا، وزنوا أعمالكم قبل أن تزنن عليكم، وأعلموا أن ملك الموت قد تخطانا إلى غيرنا، وسيخطى غيرنا إلينا، فلتنخذ حذرنا. الكيس من دان نفسه وعمل لما بعد الموت، والعاجز من أتبع نفسه هواها، وتمنى على الله الأمانى، واستغفر الله. الحمد لله رب العالمين، وأشهد ان لا إله إلا الله ولي الصالحين.

اللهم صل على سيدنا محمد وعلى آل سيدنا محمد، كما صليت على سيدنا إبراهيم وعلى آل سيدنا إبراهيم، وبارك على سيدنا محمد وعلى آل سيدنا محمد. كما باركت على سيدنا إبراهيم وعلى آل سيدنا إبراهيم في العالمين انك حميد مجيد. اللهم اغفر للمسلمين والمسلمات الأحياء منهم والأموات. إنك يا مولانا سمع قريب مجيب للدعوات. اللهم برحمتك عنا واكفنا. اللهم شر ما أهدنا وعمنا. وعلى الإيمان الكامل والكتاب والسنة وقتنا نلناك وأنت راض عنا. لا اله الا انت سبحانك ان كنا من الظالمين وأنت ارحم الراحمين. وارزقنا اللهم حسن الخاتمة. واجعل أسعد أيامنا يوم نلناك وأنت راض عنا. انت حسنا عليك أتكالنا. اللهم أصلح لنا ديننا الذي هو عصمة أمرنا، وأصلح لنا دنائنا التي فيها معاشنا، وأصلح لنا أحوالنا التي فيها معادنا، واجعل الحياة زادا لنا من كل خير، واجعل الموت راحة لنا من كل شر. مولانا رب العالمين. اللهم أهدنا في غرة كن لهم عوناً ومعيناً وناصراً وحافظاً ومؤيداً وأميناً. اللهم أطعم جاعتهم واكس عريتهم. وارحم مصابهم وداوي غريبة. واجعل لنا في ذلك عملاً متقبلاً. يا ارحم الراحمين واغفر لنا تقصيرنا فإنك أعلم بحالنا. اللهم مجري السحاب منزل الكتاب هازم الأحزاب سريع الحساب.

أهزم الصهانية المعتدين ومن والاهم ومن أبدهم ومن وقف معهم في سر أو علن. اللهم عليك بهم فإنهم لا يعجزونك. اللهم انهم قد طغوا في البلاد فأكثروا فيها الفساد وأنت لهم بالمرصاد. فصب عليهم سوط من عذاب. يا ارحم الراحمين يا اكرم الاكرمين. اجعل بلادنا امانا سخاء رخاء وسائر بلاد المسلمين، واصرف عنها عداوة المعتدين ومكر الماكرين، وتامر المتأمرين وكيد الكائدين، ووقف القاتمين عليها للعمل بكتابتك وسنة نبيك صلى الله عليه وسلم. عباد الله. إن الله يأمر بالعدل والإحسان وإيتاء ذي القربى وينهى عن الفحشاء والمنكر والبغى يعظكم لعلكم تذكرون.